وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم فانزل الله
عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم يعني وحلفوا بالله جهد ايمانهم يعني اوكد ما قدروا عليه من
الايمان واشدها قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه لئن جاءتهم آية يعني
كما جاءت من قبلهم من الامم ليؤمنن بها يعني ليصدقن بها قل يعني قل يا محمد انما الآيات
عند الله يعني ان الله تعالى قادر على انزالها وما يشعركم يعني وما يدريكم ثم اختلف العلماء في
المخاطبين بقوله وما يشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين اقسموا بالله وقيل هو خطاب للمؤمنين
واختلفوا في قوله انها اذا جاءت لا يؤمنون فقرأ ابن كثير واهل البصرة وابو بكر عن عاصم انها بكسر
الالف على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم فتكون على معنى وما يدريكم ما يكون منهم
ثم ابتدأ فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون فمن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه وما يشعركم انها اذا
جاءت آمنوا لان المؤمنين كانوا يتمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله ان يريهم ما اقترحوا
حتى يؤمنوا فخاطبهم الله بقوله وما يشعركم ثم ابتدأ فقال تعالى انها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا في
قوم مخصوصين حكم الله عز وجل عليهم بانهم لا يؤمنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرأ الباقون انها
بالفتح وجعلوا الخطاب في ذلك للمؤمنين لان المؤمنين هم الذين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزال الآيات حتى يؤمن المشركون بها اذا راوها لان المشركين كانوا حلفوا انهم اذا جاءتهم آية آمنوا
وصدقوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الآيات
لذلك فقال الله تعالى وما يشعركم يعني ايها المؤمنون ان الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فعلى
هذا اختلفوا في لفظة لا من قوله لا يؤمنون فقيل هي صلة والمعنى وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون
وقيل هي على بابها وفيه حذف والمعنى وما يشعركم انها اذا جاءتهم يؤمنون او لا يؤمنون وقيل ان لا
بمعنى لعل في قوله انها اذا جاءت وكذلك هو في قراءة ابي بن كعب لعلها اذا جاءت وهذا سائغ في كلام
العرب تقول العرب ايت السوق انك تشتري لنا شيئا بمعنى لعلك ومنه قول عدي بن زيد

اعاذل ما يدريك ان منيتي … الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد

يعني لعل منيتي قوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم قال ابن عباس يعني ونحول بينهم وبين الايمان
فلو جئناهم بالآيات التي سالوها ما آمنوا بها والتقليب هو تحويل الشيء وتحويله عن وجه الى وجه
آخر لان الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار عن الآيات بقيت على الكفر كما لم يؤمنوا به اول مرة
يعني كما لم يؤمنوا قبل ذلك من الآيات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر
وغير ذلك من المعجزات الباهرات وقيل اول مرة يعني الآيات التي جاء بها موسى وغيره من الانبياء وقال ابن
عباس المرة الاولى دار الدنيا يعني لو ردوا من الآخرة الى الدنيا نقلب افئدتهم وابصارهم عن الايمان
فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به اول مرة قبل مماتهم وفي الآية دليل على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل
من يشاء وان القلوب والابصار بيده وفي تصريفه يقلبها كيف شاء معناه ويزيغ ما اراد منها ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فمعنى قوله ونقلب افئدتهم نزيغها
عن الايمان ونقلب ابصارهم عن رؤية الحق ومعرفة الصواب وان جاءتهم الآية التي سالوها فلا
يؤمنون بها كما لم يؤمنوا بالله ورسوله وبما جاء من عند الله فعلى هذا تكون الكناية في به عائدة
عن الايمان بالقرآن وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل سؤالهم الآيات التي اقترحوها
وقوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون يعني ونترك هؤلاء المشركين الذين سبق في علم الله
انهم لا يؤمنون في تمردهم على الله واعتدائهم عليه يترددون لا يهتدون الى الحق قوله عز وجل
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة قال ابن جريج نزلت في المستهزئين وذلك انهم اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعث لنا بعض موتانا حتى نسالهم عنك احق ما تقول

حزب

اي باطل

ام باطل وارنا الملائكة يشهدون لك انك رسول الله او ائتنا بالله والملائكة قبيلا فنزلت هذه الآية
جوابا لهم والمعنى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة يعني يشهدون لك بالرسالة وكلمهم الموتى يعني
كما سالوا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا يعني وجمعنا عليهم كل شيء قبيلا وقيل القبيل الكفيل
بصحة ما تقول ما آمنوا وهو قوله تعالى ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله يعني الا ان يشاء الله
منهم الايمان وفيه دليل على ان جميع الاشياء بمشيئة الله تعالى حتى الايمان والكفر وموضع المعجزة
ان الاشياء المحشورة منها ناطق ومنها صامت فاذا انطق الله الكل حتى يشهدوا له بصحة ما يقول
كان ذلك في غاية الاعجاز وقيل قبلا من المقابلة والمواجهة والمعنى وحشرنا عليهم كل شيء مواجهة
ومعاينة ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله اخبر الله ان الايمان بمشيئة الله لا كما ظنوا انهم متى شاءوا
آمنوا ومتى لم يشاءوا لم يؤمنوا وقال ابن عباس ما كانوا ليؤمنوا هم اهل الشقاء الا ان يشاء الله هم اهل
السعادة الذين سبق لهم في علمه انهم يدخلون في الايمان وحكى الطبري قول ابن عباس قال لان المعني بقوله
ما كانوا ليؤمنوا القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها
ثم استثنى منهم اهل السعادة وهم الذين شاء لهم الايمان قوله تعالى ولكن اكثرهم يجهلون يعني
يجهلون ان ذلك كذلك ويحسبون ان الايمان اليهم متى شاءوا آمنوا ومتى شاءوا كفروا وليس الامر كذلك
بل الايمان والكفر بمشيئة الله تعالى فمن شاء له الايمان آمن ومن شاء له الكفر كفر وفي هذا دليل لمذهب
اهل السنة ان الاشياء كلها بمشيئة الله تعالى ورد على القدرية والمعتزلة في قولهم ان الله اراد الايمان
من جميع الكفار قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا قيل هو منسوق على قوله تعالى وكذلك زينا لكل امة
عملهم اي كما فعلنا ذلك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا وقيل معناه كما جعلنا لمن قبلك من الانبياء اعداء
كذلك جعلنا لك اعداء وفيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له يقول الله تبارك وتعالى كما
ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك عدوا ليعظم ثوابه على ما يكابده من اذى
اعدائه وعدو واحد يراد به الجمع يعني جعلنا لكل نبي اعداء شياطين الانس والجن اختلف العلماء
في معنى شياطين الانس والجن على قولين احدهما ان المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن والشيطان
كل عات متمرد من الجن والانس وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشياطين
الانس انهم اشد تمردا من شياطين الجن لان شيطان الجن اذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح واعياه ذلك استعان
على اغوائه بشيطان الانس ليفتنه ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل تعوذت بالله من شياطين الجن والانس قلت يا رسول الله وهل للانس من شياطين قال نعم هم شر
من شياطين الجن ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري وقال مالك بن دينار ان شياطين الانس اشد علي
من شياطين الجن وذلك اني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي
القول الثاني ان الجميع من ولد ابليس واضيف الشياطين الى الانس على معنى انهم يغوونهم وهذا قول عكرمة
والضحاك والكلبي والسدي ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الانس التي مع الانس وشياطين
الجن التي مع الجن وذلك ان ابليس قسم جنده فريقين فبعث فريقا منهم الى الجن وفريقا الى الانس والفريقان
شياطين الجن والانس يعني انهم يغوونهم ويضلونهم وكلا الفريقين اعداء النبي صلى الله عليه وسلم
ولاوليائه من المؤمنين والصالحين ومن ذهب الى هذا القول قال يدل على صحته ان لفظ الآية يقتضي اضافة
الشياطين الى الانس والجن والاضافة تقتضي المغايرة فعلى هذا تكون الشياطين نوعا مغايرا
للانس والجن وهم اولاد ابليس وقوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض يعني يلقي ويسر بعضهم الى بعض
ويناجي بعضهم بعضا وهو الوسوسة التي يلقيها الرمز بها اغواءه فعلى القول الاول شياطين
الانس والجن يسر بعضهم الى بعض ما يفتنون به المؤمنين والصالحين وعلى القول الثاني ان اولاد ابليس
يلقي بعضهم الى بعض في كل حين فيقول شيطان الجن لشيطان الانس اضللت صاحبي بكذا وكذا فاضل